ملخص كلمة

البَطْرَرك إبراهيم إسحاق سيدراك(*)

فضيلةَ الإمامِ الأكبرِ، شيخِ الأزهرِ، الدُّكتور أحمد الطَّيِّب.

الحضورُ الكريمُ. ملخص كلمة البَطْرَرك إبراهيم إسحاق سيدراك

صدفةٌ جميلةٌ أن تنطلقَ فعَالِيَّاتُ هذا المؤتَمَرِ في أعقابِ حوارٍ دارَ في الأسبوعِ الماضي بين الأزهرِ الشَّريفِ والفاتيكانِ، الَّذي استضافَتْه مشيخةُ الأزهرِ بعدَ انقطاعٍ دامَ سبعَ سنواتٍ، وفي كلمتِه استشهدَ الكاردينال لويس توران، رئيسُ المجلسِ البابويِّ للحوارِ، بقولِ الإمامِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ الَّذي سمعناه في الجلسةِ السَّابقةِ: «النَّاسُ صِنفانِ: إمَّا أخٌ لك في الدِّينِ، أو نظيرٌ لك في الخَلقِ»، هذا المعنى الذي سمِعناه يؤكِّدُه المجمعُ الفاتيكانيُّ المنعقدُ في ستينيَّاتِ القرنِ الماضي، بعد أن أَعْلَنَ رفعةَ دعوةِ الإنسانِ وسموَّها، وما أودعَ اللهُ فيها من بادرةٍ إلهيَّةٍ، ويقدِّمُ تعاونَه وتعاونَ الكنيسةِ المخلصَ للجنسِ البشريِّ كلِّه من أجلِ إرساءِ الأخوَّةِ الإنسانيَّةِ الَّتي تتجاوبُ مع دعوةِ الإنسانِ هذه.

ويشدِّدُ المجمعُ بوجهٍ خاصٍّ على كرامةِ الإنسانِ الشَّخصيَّةِ بكونه مخلوقًا على صورةِ اللهِ والإنسانِ، وكذلك يشدِّدُ على كرامةِ الضَّميرِ وعظمةِ الحرِّيَّةِ الحقيقيَّةِ والمساواةِ بين جميعِ البَشَرِ والعدالةِ الاجتماعيَّةِ.

ولأنَّ الشعوبَ كلَّها جماعةٌ واحدةٌ أصلُها واحدٌ، أسكَنَها اللهُ وجهَ الأرضِ كلِّها، تتَّجهُ نحوَ غايةٍ قصوىٰ هي اللهُ، تحدَّثَ المجمعُ عن العَلاقةِ حتَّىٰ مع الدِّياناتِ غيرِ التَّوحيديَّةِ، وأكَّدَ أنَّ الكنيسةَ لا تَنبُذُ منها كلَّ ما هو حقٌّ وإنسانيٌّ.

أمَّا عن الدِّينِ الإسلاميِّ، فنقولُ: تنظرُ الكنيسةُ بتقديرٍ إلىٰ المسلمِينَ الَّذين يعبدون اللهَ الأحدَ القيُّومَ القديرَ، فاطرَ السَّماواتِ والأرضِ الَّذي كلَّمَ النَّاسَ، بهذا كلِّه نعتبرُ أنَّ الحوارَ واحترامَ الحرِّيَّةِ بكلِّ جوانِبها والتَّكاملَ بين الأديانِ هو جزءٌ مكمِّلٌ للإيمانِ، ونرىٰ أنَّ الحوارَ لا بدَّ أن يتحوَّلَ إلىٰ مبادراتٍ خلَّاقةٍ تجمعُ البَشَرَ نحوَ تقديمِ خدمةِ كلِّ إنسانٍ دون تمييزٍ، ولا يَغفُلُ المجمعُ عن التَّغييراتِ الكبيرةِ الَّتي حَدَثتْ في العالَمِ وفي الشَّخصِ البَشَريِّ، فإنَّ الجنسَ البَشَريَّ يعيشُ في وقتِنا هذا في حِقبةٍ جديدةٍ في تاريخِه، تتميَّزُ بتغييراتٍ عديدةٍ وسريعةٍ، تمتدُّ شيئًا فشيئًا لِتَعُمَّ الكُرَةَ الأرضيَّةَ بأسرِها، وهذه المتغيِّراتُ الَّتي أحدثَها الإنسانُ بعقلِه ومجهودِه الخلَّاقِ تنعكسُ عليه نفسِه، وعلىٰ أحلامِه ورَغَباتِه الفرديَّةِ والجماعيَّةِ، وكذلك علىٰ طريقةِ تفكيرِه وعملِه بالنِّسبةِ للأشياءِ والنَّاسِ، وبلغَ هذا إلىٰ حدِّ التَّغييرِ الشَّاملِ في المجتمعِ والثَّقافةِ، وامتدتْ آثارُه إلىٰ الحياةِ الدِّينيَّةِ ذاتِها.

من هذا المنطَلَقِ نؤكِّدُ علىٰ الحوارِ الأَخَويِّ الَّذي لا يُبْلَغُ منتهاهُ إلَّا بتعميقِ عَلاقاتِ الأشخاصِ، والَّتي تقتضي الاحترامَ المتبادَلَ لكرامتِهم الرُّوحيَّةِ الكاملةِ، والتَّعليمُ المسيحيُّ يَدعَمُ هذا التَّلاقيَ المشتَرَكَ بين الأشخاصِ بشكلٍ قويٍّ، ويُرشِدُنا إلىٰ

التَّعمُّقِ في فَهمِ قوانينِ الحياةِ الاجتماعيَّةِ الَّتي غرَسَها الخالقُ في صميمِ الطَّبيعةِ الرُّوحيَّةِ والأخلاقيَّةِ بكلِّ إنسانٍ.

من هذه القراءةِ، نجدُنا في أشدِّ الاحتياجِ إلى مبادرةٍ حواريَّةٍ من طرازٍ جديدٍ، وهنا أودُّ أن أقدِّمَ اقتراحًا للدِّراسةِ ناتجًا عن قناعةٍ بأنَّ كثيرًا ممَّا يحدثُ في مجتمعاتِنا هو نِتاجُ جهلِ بعضِنا ببعضٍ، والجهلُ يُنتِجُ الخوفَ، والخوفُ يقودُ إلى الرَّفضِ واستخدامِ وسائلَ عَدائيَّةٍ تصلُ إلى العنفِ كوسيلةٍ للدِّفاعِ عن النَّفسِ.

اقتراحي هو تأسيسُ مدرسةٍ فكريَّةٍ مشتَرَكةٍ بين الأزهرِ والكنيسةِ، تتجسَّدُ مَثَلًا في صيغةِ مركزِ أبحاثٍ مشتَرَكٍ؛ لدراسةِ قِيَمِ التَّسامحِ والعَيشِ المشتَرَكِ والمُواطَنةِ... ليس القصدُ من هذا تقديمَ أبحاثٍ نظريَّةٍ، بل تدريبَ الدُّعاةِ والقساوسةِ الشَّبابِ على تحويلِ تلك القِيَمِ إلى منهجِ حياةٍ وفكرٍ متكاملٍ؛ ليحدثَ تلاقٍ بين الأشخاصِ ليتعوَّدوا على رؤيةِ بعضِهم البعضَ؛ لأنَّ الحضورَ المسيحيَّ في المعاهدِ الدينيَّةِ الأزهريَّةِ وبالعكسِ في المعاهدِ والجامعاتِ المسيحيَّةِ سوف يؤدِّي بالضَّرورةِ إلى تفاعلٍ إيجابيٍّ لَدى الدَّارِسينَ معًا تجاهَ حضورِ الآخَرِ المختلِفِ، وبالتَّالي يقودُ إلى قَبولِه.

ختامًا، أشكرُ كلَّ من تَعِبَ في إعدادِ هذا المؤتَمَرِ... أرجو وأتمنَّى له كلَّ التَّوفيقِ... وأن يُؤتِيَ ثمارَه المرجُوَّةَ.

وشكرًا.